دور مجامع اللغة العربية في حماية العربية عن طريق تيسير علوم العربية ووسائل تعليمها

الأستاذ الدكتور سامي عوض

لقد حرصت الأمم جميعاً على العناية بلغتها، ودأبت على تطوير الوسائل التي تساعد على تسهيل تعلمها ونشرها، فإذا كانت اللغة أداة التفاهم واكتساب المعرفة، وحاضنة الفكر، ووعاء العلم، وأقوى الروابط التي تشدُّ الأفراد، وتجمعهم، وتُكَوِّن من مجموعهم أمة متميزة قادرة على البقاء والنمو، فإنّ للغة العربية مكانة متميزة بين لغات العالم؛ لا لأنها من أقدم اللغات الحية فقط، بل لأن تكوينها وخصائصها يسَّرا لها القدرة على التعبير عن مختلف الأشياء المادية، وأدق الأفكار المجردة، ويكفيها فخراً أن القرآن الكريم نزل بها، فلما شُرّفت العربية بنزول القرآن الكريم بها؛ أصبح الاعتزاز منوطاً بتلك الكرامة الإلهية خاصة، وباعثاً لدراستها لفهم آيات الذكر الحكيم، وإدراك أسرار البلاغة فيها، وفهم الأحاديث النبوية، وعمق دلالاتها في أحكام الشريعة، وفي آداب السلوك وحكمة الحياة وقيمتها[1].

وتتجلى في آيات القرآن الكريم مكانة اللغة العربية وسعتها، وثباتها، قد ذكرت عدة آيات أنه قرآن عربي. ﴿إِنَّا أَنزَلناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾[2].وقال

(١) مجلة اللغة العربية والوعي القومي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الدراسات للوحدة العربية من مقال العربية بعنوان:((العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي)) د.عبد العزيز البسام (ص ٤٨-٤٩).

(٢) سورة يوسف (٢)، وانظر السور طه (١١٣)، الزمر (٢٨)، فصلت (٣)، الشورى (٧)، الزخرف (٣)، الأحقاف (١٢).

سبحانه:﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلحِدُونَ إِليهِ أَعجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيٌن﴾(١).

وقد تميَّز العرب في الزمن الغابر بتقدير الكلمة الواضحة وتأثرهم بها، وفخر القرآن الكريم بأنه لسان عربي مبين وأنه كتاب مبين، وأنه البلاغ المبين وأنّ الرسولﷺ هو النذير المبين وذكر أن﴿الرَّحمَنُ، عَلَّمَ القُرآنَ، خَلَقَ الإِنسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَان﴾(٢).

فالعربية لغة القرآن الكريم، وأساليبها هي الأساليب التي عبّرت عن المضامين التشريعية لهذا الدين الحنيف، وإنّ ارتباط الفصحى بالقرآن الكريم كتب لها الحياة والاستمرار والغلبة والانتشار. يقول يوهان فك(٣):«لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ففي ذلك العهد- وقبل أكثر من ١٣٠٠عام عندما رتل محمدﷺ القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين تأكدت روابط وثيقة بين لغته والدين الجديد، وكانت ذات دلالة عظيمة في مستقبل هذه اللغة».

لقد كان القرآن الكريم السبب الأكبر في نشأة النحو، وأن هذه النشأة كانت في رحابه الكريم وهو الداعي لتقنين كلام العرب بما يحفظ عليهم لغتهم فصيحة سليمة، لأنه أوثق نص لدى النحاة وأفصحه، يبنون عليه قواعدهم وهم بخدمته يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى، وقد ربط الإمام عبد القاهر الجرجاني بين القرآن الكريم والنحو ربطاً محكماً وجعل الصَّاد عن النحو

(١) سورة النحل(١٠٣)، وانظر السور الشعراء (١٩٥)، الأحقاف(١٢).

(٢) سورة الرحمن(١-٤).

(٣) يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ترجمة د.عبد الحليم نجار مطبعة الكاتب العربي١٣٧٠هـ-١٩٥١م ص(١).

كالصَّاد عن كتاب الله، لأن ضياع النحو طريق لضياع القرآن وفساد النطق به، باضطراب الألسنة وذهاب ضوابط العربية وانغلاق معاني القرآن بفقد وسيلة فهمها واستخراج كنوزها(١).

لقد كان النحو علم الأدب، وكان دليل الدارس إلى فهم النصوص، وكان النحاة الأوائل رواة اللغة والشعر والأدب فكانوا علماء بلاغة، ومعانٍ. علوم العربية مترابطة لا انفصال بينها.

فالنحو هو علم تُعرف به أحكام الكلام العربية إفراداً وتركيباً وهو علم المقاييس الدقيقة لصحة الكلام المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتُلف منها، وهو الأداة التي توصلنا لفهم التراكيب وتحليلها، ويمكّننا من الحصول على الفائدة منها، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويُفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد(٢).

ويجيب الزجَّاجي على سؤال من يقول: فما الفائدة في تعلّم النحو؟ الجواب في ذلك أن يقال له(٣):«إنّ الفائدة فيه هي الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدل ولا مغيّر، وتقويم كتاب الله الذي يُعدُّ

(١) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني تحقيق محمود محمد شاكر نشر مطبعة المدني القاهرة ودار المدني جدة١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٢) مكي بن أبي طالب القيسي مشكل إعراب القرآن تحقيق ياسين محمد السواس طبع دار المأمون للتراث الجزء الأول ص (١-٢).

(٣) الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجَّاجي تحقيق الدكتور مازن المبارك بيروت١٩٧٣ الطبعة الثانية ص(٩٥).

أصل الدين والدنيا والمعتمد ومعرفة أخبار النبي ﷺ وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيها إلاّ بتوفيتها حقوقها من الإعراب.

وهناك مصطلح آخر وصف به البحث في النحو هو «مصطلح العربية» أو «علم العربية» فابن النديم يستخدم مصطلح العربية بمعنى «النحو» يقول: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية[١].وهذا ما يؤكده ابن فارس: فقد تواترت الروايات على أنّ أبا الأسود الدؤلي أول من وضع العربية[٢]. ويقول ابن الأنباري[٣]:«أول من وضع علم العربية، وأسّسّ قواعده، وحدَّ حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه».

ويشرح الدكتور محمود فهمي حجازي ذلك بقوله[٤]: أما في المغرب والأندلس فهناك نصوص كثيرة توضح تفضيلهم مصطلح العربية، ففي القرن الرابع الهجري ذكر الزبيدي في تراجمه لكثير من علماء الأندلس والمغرب مصطلح العربية بمعنى «النحو».

إنّ ما تقدّم يعيننا على معرفة علمائنا قدر النحو، ومنزلته، ووظيفته، وسموه، ورفعة شأنه، وضرورة إتقانه لإدراك كلام الله تعالى، وفهم دقائق

(١) ابن النديم الفهرست المطبعة الرحمانية١٣٤٨هـ ابن فارس ص (٥٩).

(٢) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها تحقيق السيد أحمد صقر طبع مطبعة عيسى الباب الحلبي ص (١٣).

(٣) ابن الأنباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر ص (٤).

(٤) علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية محمود فهمي حجازي طبع الكويت ص (٦٢-٦٣).

التفسير، وأصول العقائد، وحقائق الدين، وإظهار إعجاز القرآن الكريم، وأسرار التعبير فيه، وصيانته، وإشراع السبل الصحيحة للنطق به نطقاً صحيحاً فصيحاً.

لذلك كانت الدعوة إلى تيسير تعليم علوم اللغة العربية الشغل الشاغل لعلمائنا قديماً وحديثاً فقد دعا الجاحظ في القرن الثالث الهجري في رسالته «في المعلمين» المعلم ألا يُثقل على المتعلم فيعلِّمه من النحو ما يزيد على حاجته إلى التعبير السليم وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيءٍ إن وضعه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عمّا هو أولى به.

وقد وضع الكثير من أئمة النحو، وعلمائه ملخصات ومختصرات للناشئة على نحو ما يلقانا عند خلف الأحمر (ت١٨٠هـ) الذي وضع مقدمة في النحو جمع فيها الأصول الأساسية ليستغني به المتعلم عن التطويل، فزعم أن من قرأها وحفظها عَلِمَ أصول النحو كله يقول: «لما رأيت النحويين، وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل، وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلِّغ في النحو من المختصر، والمأخذ الذي يخف على المبتدىء حفظه، ويعمل فيه عقله، ويحيط به فهمه فأمعنت النظر والفكر في كتاب أؤلفه، وأجمع فيه الأصول، والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل فعملت هذه الأوراق، ولم أدع فيها أصلاً، ولا أداة، ولا حجة ولا

دلالة، إلا أمليتها فيها، فمن قرأها وحفظها، عَلِمَ أصول النحو كله[١].

وصنف ابن السراج (مت٣١٦) مختصراً سمّاه (الموجز في النحو) خلا من مقدمة يبيِّن عن منهجه لأنه أراد أن يقدم من خلاله عجالة نحوية يتلقاها في يسر وسهولة، فأخرجها في شكل دروس مهذبة، ولم يهدف إلى التعمق والاستقصاء، بل هدف إلى الإيضاح والإيجاز.

وقد ألف أبو جعفر النحاس (مت٣٣٨هـ) كتيّباً سماه «التفاحة في النحو» وقد نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق –المجمع العلمي العربي سابقاً– دراسة عن هذا الكتيب جاء فيها:«إن هذا الكتاب على اختصاره جامع لأمهات الأبواب والفصول، وأهم ما يحتاج إليه من يريد تقويم لسانه، وتجنيبه مزال الخطأ واللحن، وأصدق ما يوصف به هذا الكتاب العبارة التي جاءت في صفحة عنوان المخطوط، وأدرجها المحقق في حاشية الصفحة الرابعة عشرة من المطبوعة وهي أن هذا الكتاب على صغر حجمه، واختصار لفظه، فيه فائدة عظيمة، فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة، وطريقة سهلة[٢].

لقد أدرك علماؤنا أن علم النحو واسع ومتشعب، وأن ما يحتمله الناشيء منه هو الضروري الذي يعصم اللسان ويقي من الخطأ، فكانت كتبهم التعليمية تتوخى السهولة والإيضاح وقد دلت عناوينها على ذلك، فبعضها

(١) البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر د.أحمد مختار عمر ط٣ ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م نشر عالم الكتب ص (١١٠-١١١).

(٢) حقق كتيب (التفاحة في النحو) الأستاذ كوركيس عواد ونشر في بغداد سنة ١٩٦٥ وقد نشرت مجلة مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي سابقاً) المجلد٤٢ الجزء الأول رمضان١٣٨٦هـ-يناير كانون الثاني١٩٦٧ دراسة عنه ص (١٤٩-١٥٢).

يسمى «الواضح أو الإيضاح» وآخر يسمى «الموجز» وثالث يعرف بـ«المصباح أو الهداية» ورابع «المختصر والملخص أو المقدمة، أو المجمل» وخامس باسم «التفاحة» وغير ذلك من أسماء تفصح عن منهج مؤلفي هذه الكتب، وهي غاية قريبة لا تتجاوز إعطاء الضروري من هذا العلم، ولقد راعى كثير من المؤلفين الجانب التربوي في تأليفهم، وخير من يمثل هذا الاتجاه ابن هشام الأنصاري (مت٧٦١هـ) حيث بدأ بكتابه «الجامع الصغير» ثم «قطر الندى» وشرحه ثم «شذور الذهب» وشرحه. ثم «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» ثم كتاب «مغني اللبيب».

هذا الارتباط بين الحلقات ضرورة يقتضيها المنهج التربوي الذي كان العرب حريصين عليه منذ الزمن القديم.

ثم يأتي ابن مضاء القرطبي (مت٥٩٢) صاحب كتاب «الرد على النحاة» في مقدمة الذين دفعوا علماءنا في العصر الحديث إلى التفكير في وضع دراسات تهدف إلى تيسير النحو وتسهيله. وهذا ما يعبِّر عنه الدكتور شوقي ضيف في مقدمة تحقيق كتاب «الرَّد على النحاة» يقول: كان نشري لكتاب الرَّد على النحاة لابن مضاء القرطبي سنة١٩٤٧ باعثاً لي منذ تحقيقه على التفكير في تجديد النحو بعرضه عرضاً حديثاً على أسس قويمة، تصفِّيه، وتروّقه، وتجعله داني القطوف للناشئة[١].

ويُعد الأستاذ إبراهيم مصطفى صاحب المحاولة الأولى في تسهيل مباحث النحو والصرف في العصر الحديث عندما نشر كتابه «إحياء النحو»

(١) كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط١ ١٩٤٧ ثم صدرت الطبعة الثانية عن دار المعارف ١٩٨٢، ثم طبع الكتاب طبعة ثالثة.

عام ١٩٣٧ [(١)]، ومنذ أن وضع الأستاذ إبراهيم مصطفى كتابه هذا لقي قبولاً من بعض علمائنا، واستهجاناً من بعضهم الآخر، وقد وضعت كتب للرد عليه، وجل ما وضعه الأستاذ إبراهيم مصطفى مأخوذ من كتاب ابن مضاء ولا نعرض الأقوال المؤيدة والمعارضة ولعل خير ما يوضح جهده المشكور قول الأستاذ أحمد أمين في استقبال الأستاذ إبراهيم مصطفى عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

على كل حال اجتهد فوفِّق كثيراً، ولست أقول إنه نجح كل النجاح في تطبيق نظريته، وأنه حَوّل النحو الصعب إلى نحو سهل، ولكنه أراد ذلك، وحاول ذلك، ونجح بعض النجاح وهو معذور لأن هذا الإصلاح أعقد من الاصطلاحات الاجتماعية، وأعقد من سفور المرأة، وأعقد من دخول المرأة البرلمان، ونحو ذلك لأن الناس يحافظون على القواعد أكثر مما يحافظون على ذلك، ولأنهم يعتزون بالتراث اعتزازاً كبيراً، فأيّ مساس به يثيرهم فالعيب ليس عيب إبراهيم مصطفى، ولكن عيب قوة التقاليد وقداسة القديم وحسبه أنه فكر طويلاً، وعمل بتأليفه عملاً جليلاً[(٢)]، وفي سنة ١٩٣٨ شكَّلت وزارة المعارف المصرية «التربية والتعليم الآن» لجنة تيسير قواعد تدريس اللغة العربية، وقد أرسلت وزارة المعارف نسخاً من تقريرها الذي يقع في قسمين: يقع أولهما

(١) إبراهيم مصطفى إحياء النحو الطبعة الأولى١٩٣٧ الطبعة الثانية١٩٩٢ مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة.

(٢) أ-انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الثامن ص (٢٦)ب.

ب-إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي د.عبد الله أحمد خليل إسماعيل ص (١١-١٤).

في ست صفحات، ويشمل على اقتراحات اللجنة في تيسير قواعد تدريس اللغة العربية، وينقسم التقرير إلى قسمين يتعلق أولهما بالنحو والصرف، ويتعلق الثاني بعلوم البلاغة، وكانت لجنة وزارة المعارف قد ذكرت أنّ أهم ما يعسّر النحو على المتعلمين ثلاثة أشياء:

الأول: فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعلّلوا ويسرفوا في الافتراض، والتعليل.

الثاني: إسراف في القواعد نشأ عنه إسراف في الاصطلاحات.

الثالث: إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

أرسلت وزارة المعارف والأدب نسخاً من التقرير السابق إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في شهر تموز/يوليو١٩٣٨ طالبة إلى أعضائه دراسته وإبداء الرأي فيه.

وفي شهر شباط/فبراير١٩٤٢ أصدر وزير المعارف قراراً عَهِدَ فيه إلى المجمع دراسة تيسير قواعد النحو والصرف فشكَّل المجمع لجنة الأصول فيه لدراسة التقرير وما تضمَّن من مقترحات لتيسير النحو والصرف التعليميين وتدارست اللجنة المقترحات، وفي مؤتمر المجمع سنة١٩٤٥، درس المجمع تلك المقترحات، وأصدر قراراته فيها على أساسين:

أولاً: أن تلك المقترحات صالحة للمناقشة والمراجعة العامة.

ثانياً: أن كل رأي يؤدي إلى تغيير في جوهر اللغة، وأوضاعها العامة لا يُنظر إليه[١].

(١) د.شوقي ضيف (تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده) ص (٣٩-٤٥) يمكن الاطلاع على قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وطلب المجمع إلى وزارة التربية والتعليم أن تؤلِّف كتب النحو للناشئة على أساس قراراته في التيسير، وتُعرض على المجمع لمراجعتها واستكمال ما قد ينقصها، وفي سنة١٩٤٩ قُدم هذا الطلب إلى الوزارة، واستجابت له بعد الثورة، وأخذت الناشئة تتعلم هذا النحو الميسَّر، وسرعان ما عمَّت الشكوى منه وأكثرها يعود حسب رأي الدكتور شوقي ضيف إلى أن لجنة وزارة المعارف أفرطت في إجمالها لأبواب النحو، فانبهمت صيغها على الناشئة، ولم تستطع أن تستوعبها، وتتمثلها تمثلاً دقيقاً[١].

ثم يقول الدكتور شوقي ضيف[٢]: ومن الحق أنه إذا كان التيسير الكلي للنحو لم يحظ بالنجاح، فإن قرارات منه لقيت اهتماماً منذ أقرها المجمع، وأول ما يلقانا من ذلك قرارات المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية سنة١٩٤٧، إذ كان بين لجانه لجنة للغة والقواعد وقد أكَّد المؤتمر حاجة القواعد إلى التيسير ووضع منهجاً مفصلاً لتعليم النحو في المدارس الابتدائية والثانوية، قدَّم له بقواعد عامة مقتبسة من قرارات المجمع اللغوي ومقترحات وزارة التربية والتعليم هي:

-عدم التعرض للإعراب التقديري في المفردات، والإعراب المحلي في المفردات والجمل.

-وكذلك عدم التعرض لذكر أن هناك علامات فرعية للإعراب نائبة عن العلامات الأصلية.

وحين انعقد المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية بدمشق سنة١٩٥٦

(١) تيسير النحو التعليمي ص (٤٥).

(٢) المرجع السابق.

كان من بين لجانه لجنة اللغة العربية، فعنيت بدراسة مقترحات وزارة التربية والتعليم في التيسير، وقرارات المجمع اللغوي، ورأت أن تلك القرارات والمقترحات أصل صالح محقق لكثير من أغراض التيسير المطلوب، وآثرت مصطلح المجمع الخاص بتسمية جزأي اللجنة باسم المسند والمسند إليه، واقترحت أن يضاف موضوع التمرين على الميزان الصرفي. ثم رأت أن الاقتراحات في التيسير موجزة، وأن من الواجب تأليف كتاب يفصل مسائلها ليكون مرجعاً في أيدي المعلمين، ولما عرضت اللجنة المذكورة توجيهاتها على المؤتمر قرَّر أنها لا تزال في حاجة إلى الدراسة المفصلة، وقرر تأجيلها إلى مؤتمر مقبل، وكان مجمع اللغة العربية قد أرسل قراراته في شأن تيسير تعليم العربية في المناهج الدراسية للناشئين إلى كل من مجمع اللغة العربية بدمشق، والمجمع العلمي العراقي ليبديا رأيهما فيها أما مجمع اللغة العربية بدمشق فقد أوصى أولاً: بالاستفادة من علم المعاني في قواعد النحو، حتى تقف الناشئة على ما يتناوب الصيغ العربية أحياناً من اختلاف في المعنى.

وتوصية ثانية: هي الاقتصار في النحو على ما يُتيح القراءة السليمة دون تعليل وتحليل.

وتوصية ثالثة: هي العناية ببحث الأصوات[1].

ورأى المجمع ضرورة الإبقاء على الإعرابين التقديري والمحلي، وتوقُّف إزاء إلغاء علامات الإعراب الفرعية مشككاً في قربه من إفهام الناشئة، ورأى المجمع الدمشقي أيضاً العدول عن ركني الجملة باسم المسند والمسند إليه، والإبقاء على المصطلحات القديمة المبتدأ والخبر واسم كان وأخواتها، واسم إن وأخواتها،

(١) تيسير النحو التعليمي.

الفاعل، نائب الفاعل وبالمثل رأى العدول عن مصطلح التكملة، والرجوع إلى المصطلحات الخاصة بأنواعها إلى المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول فيه، والمفعول معه، والاستثناء، والحال، والتمييز. وبذلك لم يَكد يرتضي مجمع اللغة العربية بدمشق شيئاً من قرارات التيسير التي قدَّمها إليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ليبيِّن رأيه.

وقد التقى المجمع العراقي مع المجمع الدمشقي في الوصل بين علم النحو وعلم المعاني في بيان وجوه الذكر، والحذف لعناصر الجملة، واتفق معه في العدول من تسمية ركني الجملة بالمسند إليه والمسند، والعودة إلى المبتدأ والخبر، وبقية أنواع المرفوعات، واتفق معه أيضاً في العدول عن مصطلح التكملة، والعودة إلى مصطلحات المفاعيل، المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول فيه، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والحال، والتمييز مع الإبقاء على الاستثناء وأحكامه، يقول الدكتور شوقي ضيف:«كأن الأركان الأساسية لقرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة لم تلق قبولاً عند المجمع العراقي مثله في ذلك المجمع الدمشقي، ويمكن أن يقال بصيغة عامة: إن مجمع العراق كمجمع دمشق لم يرتضِ الأركان، والعمد الأساسية في قرارات تيسير النحو التي عرضها عليه مجمع القاهرة[١].

أردنا من هذا أن نبيِّن شيئاً من جهود المجامع اللغوية في الوطن العربي في معالجة ظاهرة الضعف في علوم اللغة العربية التي يعاني منها الجيل وبيان أسبابها، ثم اقتراح الحلول الناجعة في تذليل العقبات، وتيسير علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة والإملاء.

(١) تيسير النحو التعليمي ص (٤٨).

ولابد أن نشير إلى أن اللغات جميعاً بحاجة دائمة إلى العناية والدراسة والمتابعة، وهذه الضرورة الملحة هي التي أهابت بالأمم المختلفة لتأسيس مجامعها اللغوية كي تكون الحارس الأمين للغاتها تتعاون مع المؤسسات اللغوية.

إن مجامعنا اللغوية في وطننا العربي وضعت نفسها للعناية بالعربية وقد جاء في مقدمة أهدافها:

-المحافظة على سلامة اللغة العربية، والحرص على وفائها بمطالب العلوم والتقانة.

-توحيد المصطلحات العربية.

كان للمجامع جولات موفَّقة في الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية والعلمية، لقد افتتحت المجامع صفحة مشرقة في تاريخ اللغة العربية وهيَّأتها لتكون ابنة العصر الحديث، وأفادت من خصائصها ومرونتها في المصطلحات.

يقول الأستاذ الدكتور شاكر الفحام[1]: ويكفي أن يستعرض المرء دوريات المجامع وكتبها المحققة والمؤلفة ليرى الثروة النفيسة التي حظيت بها العربية في أعقاب الجهود المثمرة التي نهض بها المجمعيون من علماء العربية وأساتذتها وتتابعت أعمال المجامع وندواتها تعالج مشكلات العربية وقضاياها لتمضي العربية في مسيرتها مواكبةً روح العصر تلبّي مستجداته، ومخترعاته في العلوم، ومختلف مناحي الحياة ثم يقول: إن اللغة العربية الشريفة المقدسة التي يتكلم بها مئتا مليون عربي من المحيط إلى الخليج فتكون لهم لغة تفاهم وتواصل، ولغة ثقافة وعلم وحضارة لهي جديرة بأن تخدم وتمجد، وتبذل في

(١) من كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية في افتتاح ندوة (اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل) ٢٦-١٠/٢٩/١٩٩٧.

سبيل حفظها آيةَ وحدةٍ صلدةٍ خالدةٍ لهذه الأمة كلّ الجهود والإمكانيات.

ثم يقول: «إن ما نحن بصدده يحتاج إلى أن تتضافر الجهود في مؤسساتنا التعليمية والتربوية لنقدِّم لأبنائنا بأسلوب ميّسر لغة عربية سليمة سهلة تتيح لهم أن يُجيدوا التعبير بها ويتخففوا من اللهجات العامية المختلفة في أرجاء وطننا العربي ولابد من أن يعيننا على ما نحن بسبيله المؤسسات الإعلامية بوسائلها المختلفة: المرئية، والمسموعة، والمكتوبة، فهي النافذة الواسعة المطلقة التأثير في الناس وتوجيههم.

ومن هنا فإن مجامعنا اللغوية سعت جاهدة إلى تعريب المجتمع العربي عامة وتعريب التعليم خاصة، وقد أصبحت له قدم راسخة في المجالات الأدبية والثقافية والعلمية كلها لأن مجامعنا اللغوية تدرك دور اللغة المشتركة في تحقيق الوحدة الوطنية والقومية، وأهميتها في تكوين الشخصية المستقلة للأمة وتقوية أصالتها ولأن التعريب ضرورة قومية لغوية، قومية لأن العربية ليست بالنسبة لنا كأية لغة ندرسها وليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأغراض بل هي كما يقول الدكتور مازن المبارك: أعلى من ذلك وأغلى، إنها لغة عاشت حياة أمتنا منذ أن تبلبلت بحروفها ألسن العرب إلى يوم الناس هذا، فغدا بينها وبين المخلصين من الناطقين بها ما يشبه أن يكون صلة العضو بالعضو، أو صلة الروح بالروح، إن في كل حرف من حروف لغتنا العربية، وفي كل لفظ من ألفاظها معيناً من الذكريات...لقد امتلأت بتاريخنا، واستوعبت تراثنا وارتسمت بألفاظها حضارتنا، إن اللفظ من لغتنا ليس مجرد نبرة من صوت إنما هو قطعة من فكر الأمة، ونبضة من قلبها، بل هو شحنة غنية من كل عصر عاشه أو عاشته أمتنا أثر من تاريخ وقبس من فكر، وطاقة من وجدان».

ولهذا ذهب الأستاذ الأديب العالم عباس محمود العقاد إلى أن الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى إنما هو حملة على لسانها، أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد احتمال، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء يعنينا، وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان، والفكر، والضمير في ضربة واحدة، لأن زوال اللغة-في أكثر الأمم-يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها، ولكن زوال اللغة العربية، لا يبقي للعربي أو للمسلم قواماً يميِّزه عن سائر الأقوام، ولا يعصمه من أن يذوب في غمار الأمم، ولا تبقى له باقية من بيان، أو عُرف، أو معرفة، أو إيمان.

ولغوية لأن التعريب أيضاً تعبير عن استمرار اللغة في أداء وظيفتها على الصعيدين الوطني والقومي لخلق الثقة القومية بقدرة لغتنا العربية على الأداء العلمي والأدبي، لاستمرارها في عملية التجدد والخلق اللغويين.

ويُشار في هذا المجال إلى الندوات الكثيرة، والمؤتمرات المتعددة التي عقدت في الوطن العربي التي تناولت موضوع تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة والإملاء وتسهيلها. ومن أهمها الندوات والمؤتمرات التي عقدها مجمع اللغة العربية بدمشق.

-ندوة «اللغة العربية معالم الحاضر وآفاق المستقبل» من٢٦-١٩٩٧/١٠/٢٩.

-ندوة «اللغة العربية والإعلام» من٢١-١٩٩٨/١١/٢٣.

-ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح» من٢٥-١٩٩٩/١١/٢٨.

-مؤتمر «تيسير تعليم النحو» ٢٧-٢٠٠٠/١٠/٣١م.

-ندوة «المعجم العربي» ٢٢-٢٦ت٢٠٠١.

-ندوة «تيسير تعليم النحو» من٢٧-٢٠٠٢/١٠/٣١م.

وناقشت الندوات والمؤتمرات المذكورة بحوثاً ودراسات تمس قضايا العربية، وتخلص إلى قرارات وتوصيات تحفظ للغتنا شبابها وألقها، وتمنحها القدرة على العطاء، ومن هذه الدراسات ما يستشرف آفاق المستقبل، وما يجب أن يهيئ لهذا المستقبل ومواجهة تحدي اللغات الحديثة التي يتفنن أصحابها في ابتداع الطرق لتسهيلها، وتيسير اكتسابها وفي سبيل التيسير والتسهيل لابد أن تواصل المجامع اللغوية جهودها في ربط فروع اللغة العربية بعضها ببعض كي يكتسب المتعلم ثقافة واسعة، وذوقاً عربياً، وحباً للغته العربية، ومعرفة بنواحي حياتها المختلفة، لأن وظيفة النحو أن يتناول المعاني البيانية للنص كما يتناول الأشكال الإعرابية، وبمعنى آخر أن يكون النحو دليل الدارس إلى فهم النصوص، لذلك كان النحو شديد الصلة بعلم المعاني كما ذهب إلى ذلك عدد من علماء العربية قديماً وحديثاً.

إن صناعة الإعراب تقتضي ممن يتصدى لها أن يتدبر معنى النص الذي هو بصدده، إن مراعاة الصناعة النحوية بمنأى عن المعنى بمختلف جوانبه الوظيفية، المعجمية، والاجتماعية(معنى المقام) هدم لروح النص، وبُعد عن معناه المقصود لأن الإعراب تذوق للمعنى، ووقوف عنده، وحكم عليه بالرفعة والضعة.

يقول ابن هشام في كتاب مغني اللبيب[١]: إنّ كثيراً ما تزلّ الأقدام بسبب مراعاة ما يقتضيه ظاهر الصناعة، وعدم مراعاة المعنى، وأول واجب

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري تحقيق الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ومراجعة الأستاذ سعيد الأفغاني طبع دار الفكر ص (٥٨٣).

على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفرداً أو مركباً.

وقد أشار مجمع اللغة العربية بدمشق في وثيقة تقدَّم بها إلى ندوة تيسير تعليم اللغة العربية في الجزائر: إلى أن ثمة ناحية لم يعن بها الباحثون المعاصرون العناية الكافية، ولم تُشر إليها التوصيات إلا عرضاً وهي أن المعاني جزء من النحو إذ لا يقتصر الغرض من إتقان النحو على ضبط أواخر الكلام، أو تعداد صيغ الأفعال المزيدة ومشتقاتها مثلاً، وإنما ينبغي تنبيه الطالب إلى أن تغيير الحركات الإعرابية والصيغ والأبنية، يؤدي إلى تغيير المعنى، وعلى ذلك لا يصح الاقتصار في تعليم الصرف على إيراد أمثلة المصادر لغير الثلاثي، بل من الضروري أن يعرف طلابنا أكثر أوزان غير الثلاثي، ومعاني كل من الزيادات التي تطرأ على المجرد (استفعل، تفاعل، انفعل، افتعل، تفعل) كما يحسن أن تُذَيَّل كتب النحو ببحوث ولو موجزة تصنف أبواب أداء المعاني المختلفة، ووسيلة ذلك أن يكون هناك باب لأساليب النفي، أو الاستفهام، وأدواته في الجمل الاسمية والفعلية....ولعل من الخير أن يجعل شطر كبير من مباحث علم المعاني جزءاً من النحو، فلا يقرأ الطالب الحصر في علم، والقصر في علم آخر، ولا يدرسون دواعي الحذف، أو التقديم أو التأخير في علمين متمايزين، وذلك حتى لا يحسبوا أن الغرض من دراسة النحو ينحصر في ضبط أواخر الكلام أو في معرفة طرائق الاشتقاق، وصوغ الأبنية دون الوقوف على تغيير المعاني المستفادة منها.

السعي مع اتحاد المجامع العربية في تأليف لجنة من كبار المختصين في الوطن العربي من مختلف المؤسسات العلمية، والتربوية، والإعلامية للقيام بالدراسات المتعلقة بتطوير مناهج تدريس اللغة العربية خاصة النحو والصرف،

والعمل بروح الفريق الواحد في وضع الخطط الدراسية والمقررات المشتركة.

فلقد جد اليوم الكثير من طرائق التأليف التي تيسّر على القارئ فهم ما يقرأ، وتحبّب إليه المعاودة والاستزادة، وتحتفظ له بنشاطه العقلي والجسمي، فيجد الناشئون والراغبون في علوم اللغة العربية ما يجدونه في العلوم الأخرى التي تجذبهم وتستهوي ألبابهم، فتزيد الرغبة، وتعم الفائدة، وهذا ما يؤكده الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث يحمّل طريقة تدريس النحو مسؤولية ضعف الناشئة إذ يقول(١): «وكنت أحسب أن ذلك-أي الضعف-مرجعه إلى ما في قواعد اللغة من تعقيد، وبُعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة ما فيها من تأويل، وحذف، وتقدير، وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نُرجعه إلى تلك الصعوبات فقط فهي قديمة أما الجهل باللغة إلى الحد الذي تشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة، وحسبها من غير ذلك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية.

وحرصاً على التيسير والتسهيل المنشود فإن على مجمع اللغة العربية بدمشق أن يبادر إلى تنفيذ التوصية الثانية والثالثة من توصياته اللتين نصتا على سعي مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من كبار المختصين في البلاد العربية مهمتها تأليف مرجع

(١) من مقال للدكتور محمود أحمد السيد: الأداء في اللغة العربية «أسباب الضعف ووسائل العلاج مجلة مجمع اللغة العربية ربيع الأول١٤١٩هـ تموز(يوليو) ١٩٩٨م الجزء الثالث المجلد الثالث والسبعون ص (٥٥٩).

ميسر لقواعد النحو والصرف والإملاء بمعزل عن تشعب الآراء والتعقيد، ثم إخراجه في طبعة رخيصة الثمن لتكون في متناول الناشئة والطلاب...ثم السعي مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من المختصين بالتراث لوضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث موزعة على جملة المعارف الإنسانية لتعريف الباحثين والطلاب بعيون التراث العربي(١).

ويقول في هذا المجال الدكتور محمد عيد تحت عنوان «نحو الصنعة ونحو اللغة» (٢) ،وفي رأيي أن هذا الذي ذاع وشاع عن صعوبة النحو العربي ليس صحيحاً على إطلاقه، ففي الموضوع جانب صحيح، وجانب غير صحيح، ففي تراثنا من النحو العربي مادة علمية تخدم اللغة نطقاً، وقراءة، وكتابة، وهي مادة ضرورية جديرة بالاحترام، والفهم، والتطوير، والتنوير، وفيه مع ذلك ركام هائل من نحو الصنعة الذي يخضع لأعمال الذهن وزاد بتطاول الزمن، وتأثر بكثير من المناهج الدخيلة على الدرس اللغوي من المنطق الأرسطي، والفلسفة اليونانية كما تأثر بكثير من مناهج البحث في العلوم الإسلامية الأخرى، كالفقه، وعلم الكلام، وعلم الجدل، والمناظرة.

-الاعتناء بالنصوص الشعرية والنثرية، وآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فهي تملأ دروس العربية حيوية ومتعة وتساعد في تكوين الملكة اللسانية لدى المتعلمين، فيتحقق لدروس العربية جوهرها، وهدفها، ومتعتها، وبناء عليه يمكن

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الرابع المجلد الثالث والسبعون جمادى الآخر١٤١٩هـ تشرين الأول (أكتوبر١٩٩٨م) ص (١١٠٠).

(٢) قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية د.محمد عيد نشر عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى١٤١٠هـ-١٩٨٩م ص (٣٧-٤٣).

تحرير الشواهد والأمثلة النحوية من قيود الزمان، والمكان، وذلك بإيرادها من العصور كافة، فيكون التفاوت والتفاضل بين النصوص والشواهد من حيث الصحة، والبراعة، وتحقق البلاغة وشروطها.

يقول الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف[١]: وإنني أعتقد أنه إذا أُريد للنحو أن يكون له دور واضح في حياتنا المعاصرة سوى التخطئة والتصويب، فليس أمامه–فيما أرى–في الوقت الراهن، إلا أن يسلك سبيلين كلاهما نافع للعربية وكلاهما يُكسب النحو حياة وفاعلية.

أولهما: أن يتجه النحو إلى العربية المعاصرة في نصوصها الفصيحة فيجمع تراكيبها، ويصف أنماطها ويقدِّم وصفاً دقيقاً لها فما كان منها جارياً على نسق العربية التي قُعِّدَ لها في الماضي متّبعاً سننها وطرائقها أبقى على مصطلحاته النحوية المعبِّرة عنه الواصفة له، وما كان خارجاً عن الأصل القديم وليس له من نظير وهو مع ذلك متعارف غير منكور، وذو دلالة ليس له في قواعد النحو ما يصفه كان لابد من تقديم وصف نحوي له مُعين على فهمه وتفسيره وهذه المهمة في حقيقة الأمر ليست سهلة ولا ميسوره بحيث يستطيع فرد أن يقوم بها وينهض بتكاليفها ولكنها مهمة شاقة عسيرة تحتاج إلى تكاتف الباحثين في الجامعات والمجامع اللغوية وبعض الجهات القادرة على التمويل حتى يمكنها أن تأخذ بسبيلها إلى التنفيذ.

والأخرى: أن يعمد النحويون المعاصرون إلى النصوص العربية قديمها وحديثها كما فعل الأسلاف العظماء مع القرآن الكريم، والشعر، ودواوينه، ومختاراته

(١) د.محمد حماسة عبد اللطيف الجملة في الشعر العربي نشر مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص (١٦-١٧).

فيحاول أن يكتشفوا دور النحو في بنائها، ويبيِّنوا ما تقوم به المعطيات النحوية في تراكيبها، وترابط أجزائها، واستواء هيئتها وما تقدمه في إنتاج دلالتها وقيمة هذا الدور في تحديد الدلالة وبذلك يرتبط النحو في الأذهان–خاصة أذهان الناشئة–بجانب عملي نافع مفيد من جانب وبالدلالة من جانب آخر.

وفي سبيل التيسير والتسهيل الذي تسعى إليه المجامع اللغوية لابد من الاستفادة بما وصلت إليه الإنسانية من جهد في الدرس اللغوي، والأخذ بالحديث من نظريات علم اللغة وفروعه الخاصة نظراً لاهتمام هذا العلم باللغات المنطوقة وقوانين التطور اللغوي التي تميل نحو السهولة والتيسير ولابد أن نرتقي بلغتنا القومية من خلال نشر التعليم بطرائقه التربوية الحديثة وقيام دورات تدريبية ليتمكَّن معلمو اللغة من الاطلاع على مستحدثات التربية وطرائق التدريس بغية الاستفادة منها في تدريس اللغة العربية[١].

إن الدراسات اللغوية الحديثة تقدّم مساعدةً كبيرةً في تصفية النحو من الصنعة يقول الدكتور محمد عيد[٢]: إنّه لأمر واجب أن نفيد من روح المنهج الوصفي في التعرف على نحو اللغة في كتبه القديمة التي اختلط فيها الحابل بالنابل لنمّيز بين ما يفيد النطق وما لاضرر في تركه.

(١) في قضايا اللغة التربوية الدكتور محمود السيد نشر وكالة المطبوعات الكويت ص(١٤) ومابعدها.

(٢) قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية.

ويقترح الدكتور أحمد مختار عمر[١] ،لتحقيق هذا الهدف إنشاء مركز بحثي للغويات التطبيقية مجهزاً بأحدث الأجهزة مثل الحواسيب والماسحات الضوئية ومزوداً بالخبراء والباحثين اللغويين خاصة في مجالات علم اللغة التطبيقي، ويمكن لتسريع العمل في هذا المركز إشراك الجهات والمؤسسات المبعثرة في العالم العربي والمهتمة ببحوث اللغة العربية وحل مشاكلها مثل مجامع اللغة العربية وكليات الإحصاء والحاسبات ومراكز البحوث وأقسام اللغة العربية في الجامعات الأخرى وكليات التربية وستناط بهذا المركز مهمات كثيرة أهمها إعداد قاعدة بيانات حاسوبية لمادة اللغة العربية في العصر الحديث وستستخدم النتائج المستخلصة من هذه القاعدة في تحديد الرصيد اللغوي الوظيفي لكل مرحلة سنيّة وفي استخلاص القواعد النحوية والصرفية وفي تأليف معاجم المراحل مع اختيار أمثلتها من الواقع الحي وليس من خلال الأمثلة المصنوعة.

ومن الأمور الجديرة بالإشادة سعي مجمع اللغة العربية في دمشق إلى زيادة الارتباط والتكامل والتواصل بين تدريس اللغة العربية في المراحل قبل الجامعية وقد عقد مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع وزارتي التعليم العالي والتربية في الفترة الواقعة من٢٢-٢٦ تشرين الأول سنة٢٠٠٠ندوة بعنوان تيسير تعليم النحو.

(١) الدكتور أحمد مختار عمر «اكتساب اللغة الفصحى وطغيان الرصيد السلبي قضية ورأي مجلة مؤتمر التدريس الفعال لمهارات اللغة العربية في المستوى الجامعي جامعة الإمارات العربية المتحدة ص (٦٩-٧٠).

يقول الدكتور أحمد درويش[١]: إن جزءاً من صعوبة مقرر النحو يكمن في أنّ التعليم الجامعي يشكِّل قمة هرم يبدو من الصعب الفصل بينها، وبين الأجزاء المتدرجة انطلاقاً من القواعد والأسس، ومن هنا فإن أيَّ تصور لإثارة مناقشة جذرية حول قضية تعليم اللغة العربية في المستوى الجامعي ينبغي أن يمتد إلى جذور المشكلة في مرحلة ما قبل الجامعة وذلك من منطلقين:

الأول: هو العلاقة الحتمية بين قاعدة الهرم وقمته.

الثاني: أن الجامعة باعتبارها المركز الطبيعي للبحث العلمي للمشكلات، منوط بها التصدي للمشكلات العلمية، حتى تلك التي لا تمسها مساً مباشراً، فما بالك بتلك المشكلة التي تحمل إليها في مطلع كل عام أفواجاً من حملة الثانوية، ينتسبون إلى الجامعة، وتنسب نقاط قوتهم وضعفهم إليها في النهاية؟!

وفي هذا الصدد يطرح الدكتور درويش عدة أسئلة رئيسية[٢]:

١-هل يتعلم التلميذ أو الطالب العربي اللغة العربية باعتبارها «لغة جديدة» أم باعتبارها مستوى من مستويات اللغة التي اكتسبها بالولادة؟

٢-هل لدينا فصحى واحدة أم «فصحيات» متعاقبة متداخلة؟

٣-هل تفرِّق مناهج التدريس الحالية بين الدارس العام للغة والدارس الخاص لها، والمتخصص فيها؟

ثم يجيب على التساؤل الأول بقوله[١]: «إنّنا من خلال مناقشة التساؤل الأول

(١) الدكتور أحمد درويش مجلة مؤتمر التدريس الفعّال لمهارات اللغة العربية من مقال أحمد درويش نحو مزيد من الفعالية لتدريس العربية بالجامعات عبر التخصصات المختلفة ص (٢٣٦).

(٢) المرجع السابق ص (٢٣٨).

يمكن أن نلاحظ عدم استغلال التقارب الطبيعي الكبير بين العربية التي يتعلمها الطفل من أمه ولَعِبَ بها مع رفاقه، ويُعَبِّر بها عن حاجاته الأساسية، وتلازمه طوال حياته، وبين العربية التي يتعلمها في المدرسة وتكاد تُقدم إليه على أنها لغة أخرى، لها قواعد متشابكة ومعقدة ذات مصطلحات دقيقة: كالحذف، والاستتار، والتقدير، والتأويل، يستعصي فهمها على المتعلم في بداية حياته فيستظهرها ليجتاز بها الامتحانات، ونادراً ما يفكر في مدلولاتها فيما بعد،...ولو أننا أخذنا في الاعتبار أن معظم مفردات الحياة اليومية عندنا فصيحة، واخترنا للتلميذ في مراحل دراسته الأولى معجماً قريباً ممّا يألفه، وتراكيب قريبة مما يعرفه، وتدرجنا به من لغة الكلام، إلى لغة الكتابة ومن مناخ التذوق الأدبي الذي يستشفه في الأغنية الخفيفة والأقصوصة الطريفة، ومظاهر الجمال الحقيقية حوله، وانتقلنا به من ذلك إلى مستوى الكتابة مع المحافظة على الوسائل المشوِّقة، ومنها الأغنية والموسيقا، وقصة المغامرات، وألعاب الطفولة، والرسوم المتحركة، أو الساكنة، وألعاب الكمبيوتر لاجتاز الطفل المرحلة الضرورية بين لغة الكلام، ولغة الكتابة، دون أن يصطدم بالضمير المستتر، والفاعل المحذوف، والضمير المقدر، وما شاكل ذلك من قواعد يضطرب العقل أمامها، وتخلف أثرها في صورة انقباض في اللغة، وعدم إقبال عليها.

أما التساؤل الثاني حول الفصحى الواحدة، أو الفصيحات المتتابعة فينبع من تبسيط يسود لدينا غالباً، ويقوم على أن اللغة العربية منذ عهد امرىء القيس حتى الآن، تُمثل في شعرها ونثرها مستوى واحداً يمكن تعلمه من

(١) المقال السابق ص (٢٣٩-٢٤٠).

خلال مجموعة من القواعد النحوية، والصرفية، والبلاغة، والنصوص الأدبية، وعلى هذا الأساس نشرع في تقديم جملة ما انتهى إليه النحاة والبلاغيون القدماء من قواعد للتلميذ حتى يتعلم اللغة، وأحياناً لا نجده في الأمثلة التي استشهدوا بها، فنأتي بأمثلة حديثة أو ننحت أمثلة حديثة على نمط الأمثلة القديمة.

هنالك كما يقول الدكتور درويش «فصحى معاصرة» [١] ،في مقابل «فصحى التراث» ولاشك أنهما يشتركان معاً في كثير من المفردات، وطرائق تركيب العبارة، لكنه مما لاشك فيه كذلك أن لكل منهما خصوصية تنفرد بها في تركيب العبارة، وإيصال المعنى الذهني للمتكلم، ويترتب على ذلك أن كم القواعد المطلوب لتعلم الفصحى المعاصرة ليس هو بالضرورة كم القواعد المطلوب لتعلم أقل فصحى التراث، بل هو في حالة الفصحى المعاصرة أقل بكثير دون شك، لأنّ قدراً كبيراً من التراكيب يتحول شيئاً فشيئاً إلى تراكيب تاريخية، لا تستعملها الفصحى المعاصرة وينبغي علينا ونحن نعلِّم الطالب «الفصحى» أن نسأل أنفسنا أي فصحى نريد أن نعلمها له؟ وأيُّ قدر من القواعد مطلوب لبلوغ الهدف الذي نتوخاه؟ لكنَّ ذلك السؤال يتطلب سؤالاً آخر هو: أي نوع من الطلاب نقدم لهم الفصحى؟ هل هو نوع الطالب «العام» أو الطالب المتخصص؟

إنَّ ما يتطلبه الطالب العام من معرفة لغوية وأدبية، يكاد يتوازى مع ما يمكن أن تقدمه الفصحى المعاصرة من إمكانيات شريطة أن نحسن استخراج القواعد الملائمة، واختيار النصوص المعبرة، واللجوء إلى تحديث جذري في

(١) المقال السابق (٢٤٢-٢٤٣).

الوسائل، والتقنيات الحديثة، ويمكن على الإجمال أن نولي كل الاهتمام لدراسة ما تنتجه اللغات الحديثة المتقدمة من وسائل من أجل تعليم اللغة لأبنائها، على أن هذا الجهد الذي ينبغي أن يُبذل في المدرسة والجامعة لابد أن يواكبه جهد خارجي يتمثل في «وسائل الإعلام» التي ينبغي أن يسير جهدها في تنسيق مع المؤسسات التعليمية....وينبغي أن يترسخ في النفوس لدى طلاب الجامعة أن العربية لغة ثقافة علمية حديثة، وأنها يمكن أن تكون وعاء إرسال واستقبال لها، وأن دورها لا يقتصر على الخطب البليغة، والرسائل العاطفية، ويمكن ترسيخ هذا الهدف في مستوى التعليم الجامعي من خلال توسيع مفهوم «النص» في القديم والحديث، فيكون من بين ما يُحتفى به من النصوص القديمة، الكتابات العلمية لعلماء النبات، والفلك، والحيوان، والطب، والرياضيات حتى وإن كانت المضامين العلمية لها قد تغيرت فذلك يحدث في كل لغات الدُّنيا، ولكنَّ التدريب على قراءة هذه النصوص العلمية القديمة يعمّق في نفس الدارس الخاص أن هذه اللغة لغة علم، وأنه يمكن أن يعود إليها رونقها من خلال نشاط أبنائها، ويمكن من ناحية أخرى أن يساعد بعضهم على التعود على لغة هذه النصوص القديمة تمهيداً للمشاركة في إعادة تحقيق الجهود العربية العلمية القديمة ونشرها التي لم تلق حتى الآن قدراً كافياً من عناية العلماء المحدثين، أما المستوى المتخصص فهو أيضاً في حاجة إلى إعادة النظر على المستوى الجامعي...وإذا عدنا إلى الطائفة المتخصصة فإن من مشاكلها أيضاً أنها تلقت في مرحلة ما قبل الدراسة الجامعية بناء لغوياً، وأدبياً، ونحوياً هشَّاً ومشوشاً وأنها تفاجأُ بصب كتل خرسانية متخصصة فوق هذه الأعمدة الهشة فيدخل الطالب وهو يدرس النحو التخصصي مثلاً في دقائق

الخلاف بين البصريين، والكوفيين، والبغداديين، وهو لم يستقم بعد لديه استقامة تمثل وتشرب صياغة أركان المجلة الرئيسة فنجده بعد هذا يخطىء في رفع الفاعل، ونصب المفعول، ولكنه في الوقت ذاته يستظهر قواعد تنوين التنكير، وتنوين التمكين، وتنوين العِوض، وصيغ الصفة المشبهة، وجموع القلّة، وجموع الكثرة وقد تنمو عظامه على هذا العِوج فلا يكون لديه هيكل مستقيم حتى وإن أثقل باللحم، وتضرج بالدم.

إن التدريس الجيد يعتمد على ذكاء المعلم وحبه لمهنته وجودة إعداده ووعيه بأهمية رسالته وخطورتها ومما لاشك فيه أن المعلم هو الركن الأساسي في أية محاولات جادة وشاملة لتجديد الأنظمة التربوية وتجديد الأداء فيها وحُسن كفايتها وينبغي ألا تقتصر العناية باللغة العربية على مدرسي اللغة العربية وحدهم بل ينبغي أن تنال عناية كل مدرِّس فهي لغة الوطن والعروبة لغة القرآن الكريم.

يقول الدكتور المخزومي[1]: إن تعلم اللغة العربية والإلمام بمبادئها ثم المحافظة على سلامتها وأصالتها فرض على كل منتسب إلى هذه الأمة وعلى كل منتسب إلى هذا المعهد أو ذاك أو إلى هذه الجامعة أو تلك مدرس التاريخ، ومدرس الجغرافية، ومدرس التربية، ومدرس اللغة الأجنبية، ومدرسو العلوم على اختلافهم جميعاً شركاء في تحمل هذه المسؤولية وحمل هذه الأمانة.

(١) الدكتور مهدي المخزومي العربية أمانة نتحملها جميعاً من مقال للدكتور مهدي المخزومي مجلة اللغة العربية والوعي القومي ص (٣٩٣).

يقول الدكتور محمود السيد[١]: إن على مدرسي اللغة العربية أن يشعروا باعتزازهم بلغتهم وأن يغرسوا هذا الاعتزاز في أذهان الناشئة لأنَّ محبة لغتنا العربية دليل على احترام شخصيتنا العربية وكياننا القومي كما أنَّ من شعائر الإسلام إتقان لغة القرآن الكريم اللغة العربية الفصحى ويستدعي ذلك أن تكون مسؤولية تعليم اللغة العربية مسؤولية جماعية لا يقع حملها على كاهل مدرسي اللغة العربية فحسب بل على كاهل جميع المدرسين.

فلنسعَ جميعاً إلى تنمية الدراسات والبحوث اللغوية كشفاً عن خصائص العربية وإبرازاً لمزاياها، وسعياً لجعلها وافية بمطالب تَقدم المعرفة العلمية، وتطور الحضارة وتسهيل تعلمها بين الناشئة وتمكينهم من إتقان لغتهم الفصحى وذلك باعتماد المنهجيات العلمية الحديثة في اللسانيات، والعناية بتيسير النحو، والصرف، والبلاغة والإملاء، واتخاذ الإعراب سبيلاً للإبانة عن مواقع الكلمات، ودلالتها، والعودة بالنحو إلى مناهله الأولى، عناية باللغة الحية تقديراً لوظائفها الاجتماعية، وإمكانية تطورها للوفاء بالحاجات المتطورة.

إن هذا الحرص الذي نجده في مجامعنا اللغوية عامة ومجمع اللغة العربية خاصة في سعيه الدائم إلى إقامته ندوات ومؤتمرات تعنى بإحاطة لغتنا العربية بسياج ثابت راسخ كي تظل هذه اللغة المباركة تتمثل فيها شخصية الأمة، وتقرأ في صفحاتها حضارتها، وتتجدّد في كل مرحلة من مراحلها قدرتها على التمثُّل والاستيعاب، والاقتدار.

(١) الدكتور محمود السيد الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها دار العودة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠ ص (١٤).

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

١-إحياء النحو الأستاذ إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والنشر الطبعة الأولى١٩٣٧م الطبعة الثانية١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢-الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي تحقيق د.مازن المبارك الطبعة الثانية١٩٧٣م.

٣-تجديد النحو د.شوقي ضيف طبع دار المعارف القاهرة١٩٨٢ الطبعة الرابعة.

٤-تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده د.شوقي ضيف طبع دار المعارف مصر١٩٨٦م الطبعة الأولى.

٥-تعلم اللغة بين الواقع والطموح للدكتور محمود السيد طبع دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر الطبعة الأولى.

٦-دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر نشر مطبعة المدني القاهرة ودار المدني جدة١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٧-الرد على النحاة ابن مضاء القرطبي تحقيق د.شوقي ضيف الطبعة الأولى ١٩٤٧م الطبعة الثانية١٩٨٢م.

٨-طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف مصر١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

٩-العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب يوهان فك ترجمة د.عبد الحليم النجار مطبعة الكتاب العربي١٣٧١ هـ-١٩٥١م.

١٠-العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث د.محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة أم القرى، الكويت١٩٨٤م.

١١-علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية) د.محمود فهمي حجازي، طبع الكويت.

١٢-الفهرست ابن النديم المطبعة الرحمانية، مصر١٣٤٨هـ.

١٣-في قضايا اللغة التربوية للدكتور محمود السيد نشر وكالة المطبوعات الكويتية.

١٤-قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية د.محمد عيد نشر عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١٥-الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، نشر عالم الكتب الطبعة الثالثة١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦-اللغة العربية والوعي القومي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، ومعهد البحوث والدراسات العربية).

١٧-لغتنا والحياة د.عائشة عبد الرحمن، طبع دار المعارف الطبعة الثانية١٩٦٩م.

١٨-اللغة والنحو بين القديم والحديث الأستاذ عباس حسن، طبع دار المعارف مصر، الطبعة الأولى١٩٦٦ الطبعة الثانية١٩٧١م.

١٩-مجلة مجمع اللغة العربية (كتابان فيهما بحوث ندوة اللغة العربية) معالم الحاضر وآفاق المستقبل من٢٦-١٩٩٧/١٠/٢٩م، جمادى الآخرة ١٤١٩هـ تشرين الأول١٩٩٨م.

٢٠-مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية مجلة علمية فعلية تصدر عن جامعة تشرين العدد السادس عام١٩٩٦م.
٢١-مجلة مؤتمر التدريس الفعال لمهارات اللغة العربية في المستوى الجامعي ١٤-١٦آذار مارس ١٩٩٨م نشر جامعة الإمارات العربية المتحدة العين.
٢٢-مراتب النحويين أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار النهضة مصر١٣٩٤هـ-١٩٨٥م.
٢٣-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق د.مازن المبارك والأستاذ محمد علي حمد الله، مراجعة الأستاذ سعيد الأفغاني دار الفكر بيروت الطبعة السادسة١٩٨٥م.
٢٤-الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها للدكتور محمود السيد دار العودة بيروت الطبعة الأولى١٩٨٠م.
٢٥-نحو وعي لغوي د.مازن المبارك مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.